الحمر، فبدأت حملة «طخطخة» كونية، بدءاً من غرينادا، مروراً ببنما، وانتهاء بمنطقة الخليج. وهذا السلوك وصفه بعض المعلّقين بانعدام الخيال لدى الاميركيين؛ عدا ذلك، عملت على الزام «ادلّائها» و«وكلائها» الاقليميين تنفيذ توجيهاتها، كل في منطقته، بما يخدم هيمنتها وهيبتها كامبراطورية. حتى حلفاءها خفّضت من مستوى «ندّيتهم» لها، وبدأت تطالبهم بـ «حق الحماية»، الذي قد يصبح، لاحقاً، الصفة المميّزة للنمط الامبراطوري الاميركي، حيث سيكون على العالم تغطية اكلاف الخدمات العسكرية الاميركية بحجّة انها عمليات «أمن عالمي». وقد يكون الزام حلفائها ووكلائها بتغطية أكلاف الحشد العسكري الاميركي في منطقة الخليج، والاضرار الناجمة عنه، مؤشراً الى مثل ما ذهبنا اليه حول سلوك «روما» الجديدة في عالم ما بعد الحرب الباردة، اذا تمكّنت من فرض نمطها؛ في حين ان من فكّروا في صورة العالم، بعد انتهاء الحرب الباردة، قدّروا انه سيقوم على مبدأ التعاون بين الشعوب والدول، وبالتالي، سيُحْكَم التوازن فيه على أساس المصالح، وليس على القوة. وفي هذا العالم، كما يتصوّره الدارسون، ستكون الولايات المتحدة الاميركية قوة بين عدة قوى مؤهلة، أو تؤهل نفسها، لتكون مراكز موازية للمركز الذي احتلته الولايات المتحدة الاميركية بعد الحرب العالمية الثانية. هذا التصوّر الكوني، الذي بدأت ترتسم ملامحه، يفترض زوال عصر الامبراطوريات، بما يعنيه من وحدانية المركز وهيمنة القوة، وهو، على ما يبدو، ما لا يريح الامبراطورية الاميركية، التي بدأت ترى في حلفائها ابناء غير بررة وناكري جميل، فصار «استعراض القوة» والتلويح باستخدامها سمة هذه الامبراطورية بعد الانسحاب السوفياتي من الصراع، مرشّحة بذلك نفسها للعب دور «السلطة» الكونية لعالم ما بعد الحرب الباردة، أو بلغة أخرى لعب دور «الشرطي» الكوني، حيث ان قوتها العسكرية ستبقى رصيدها المتميّز بين المؤهلين لاحتلال مراكز موازية لها. فقد شكّلت «قمّة مالطا»، في احد وجوهها، اعلان استسلام، وتسليم، سوفياتي للولايات المتحدة الاميركية بهذه الميزة. ولم تجد، بعد، محاولات «تدارك» صيغة مالطا. فوتيرة التسرّع السوفياتي وحذر اوروبا الغربية وغياب فاعلية اليابان والصين جعل من «قمّة مالطا» تسوية بين متحاربين لصالح الولايات المتحدة الاميركية. طبعاً لم يرد في الحسبان لدى قطبي تلك القمّة أي قيمة، أو دور، للعالم الثالث، ومنه المنطقة العربية، على الرغم من ان الحرب الباردة تركّزت، في احد وجوهها، على هذا العالم، باعتباره خزّان المواد الاولية للصناعات الحديثة، التي يحتكرها الغرب بشقيه، الرأسمالي والاشتراكي.

ارتباك «الفيل» الاميركي

بغض النظر عن نوايا العراق وأسبابه لخوض حرب الثماني سنوات مع ايران، فقد وُظّفت القوة العراقية لتدمير قوة ايران التي بنتها الادارة الاميركية للشاه كوكيل لها، حسب مبدأ نيكسون، في منطقة الخليج، بعد ان صارت تلك القوة اداة في يد «الثورة الاسلامية» التي أعلنت عن نيّتها تصدير الثورة الى جوارها؛ هذا الجوار الذي يشكّل، بخزاناته النفطية، «بنك الدم» الكوني. وافترضت الرؤية الاميركية لهذه الحرب خروج المتحاربيْن مدمّرين، بحيث يكفّا عن تشكيل أي تهديد لجيرانهما، وينشغلا بقضاياهما الداخلية، وباعمار ما دمّرته الحرب. لكن هذه الحرب بقدر ما دمّرت في الحياة المدنية للبلدين واضعفتها، عزّزت آلة الحرب لديهما؛ فحاولت الادارة الاميركية «تعميم الضعف» ليشمل كل نواحي حياة البلدين؛ وساعدها في ذلك حلفاؤها ووكلاؤها. وشكّل العراق الهدف الرئيس لحملة «تعميم الضعف» هذه، لأنه خرج من تلك الحرب منتصراً، ومحتفظاً بقوة تدمير قادرة على التهديد، كما انها قابلة للتشغيل. وبهذا المعنى، فان الحرب العراقية ـ الايرانية لم تحقق الاهداف الاميركية المرجوّة منها، كما حلم بها مخططو السياسة في واشنطن (يمكن رؤية مؤشر الخوف من